ذخائر العرب

٤٤

المعارف لابن قتيبة

أبي محمد عبد الله بن مسلم

٢١٣هـ - (٨٢٨م) - ٢٧٦هـ (٨٨٩م)

حقق وقدم له

د. ثروت عكاشة

دار المعارف

المعارف

لابن قتيبة

أبي محمّد عبد الله بن مسلم

٢١٣ هـ (٨٢٨ م) – ٢٧٦ هـ (٨٨٩ م)

حققه وقدّم له

دكتور ثروت عكاشة

الطبعة الرابعة

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

١

لقد كان هذا الكتاب — كما قلت قبل فى مقدمة الطبعة الأولى — ثمرة من ثمار كثيرة لابن قتيبة الدينورىّ أبى محمد عبد الله بن مسلم ، وكانت تلك الثمار كلها تحمل طابع ذلك العصر الذى عاش فيه ابن قتيبة ، وهو الميل إلى التأليف الجامع لموضوعات مختلفة ، ثم الاستطراد فى كل موضوع ، وكان مرد هذا لا شك إلى اتساع النقل إلى العربية ، فلقد ترجمت فى ذلك العصر ، الذى أظل ابن قتيبة ، كثرة من الكتب عن اللغات الأخرى التى كان لها أثرها لا شك فى ظهور مناهج جديدة فى التأليف ، كان منها هذا المنهج الجامع الذى انتهجه ابن قتيبة كما انتهجه غيره من مؤلفى ذلك العصر ، كالجاحظ ، وابن عبد ربه .

وكما تأثر كتّاب ذلك العصر بهذا تأثروا بشىء مثله ، ولكنه كان له مظهر آخر ، فلقد كان ذلك العصر عصر إرهاب وفوضى خرج الأمر فيه من يد الخلفاء إلى يد الموالى الأتراك ، وأصبح هؤلاء الموالى هم الحاكمين حقًّا ، ولم تعد أمور الناس تجرى على طمأنينة وأمن ، بل عاشوا حياة يسودها الفزع والخوف ، الظَّفَرُ فيها لمن غَلَب .

فلقد أصبح هؤلاء الأتراك حرباً على الخلفاء ، وهم الذين استجلبوا ليكونوا درعاً لهم ، فإذا هم يقتلون منهم من لم يستجب لما يطمعون فيه ، وما كانَ طمعهم هذا لينتهى عند غاية ، فلقد أخذوا يقتلون من غير الخلفاء من يحسون فيه الميل إليهم أو الوقوف إلى جانبهم .

وأول ما كان لهم من عدوان منكر كان ذلك العدوان الذى راح ضحيته

المتوكل العباسى سنة ٢٤٧هـ ، وكان ابن قتيبة عندها قد جاوز الثلاثين بقليل، ثم إذا هو يعيش بعد هذا ليشهد هذه الفوضى تمتد وتستفحل ويرى بعينيه مقتل المستعين بالله سنة ٢٥٢ هـ ، ثم مقتل المعتز بالله سنة ٢٥٥ هـ على أبشع صورة يدبرها قاتل لمقتول ، فلقد دخل عليه الأتراك فأوسعوه ضرباً وأحرقوا ثيابه ثم جروه برجليه إلى صحن الدار فى العراء حيث الشمس المحرقة ، وتركوه ملقى على الأرض يرفع رجلا ويضع أخرى من شدة أذى الحر.

ومن بعد مصرع المعتز كان مصرع المهتدى بالله سنة ٢٥٦هـ على يد الأتراك، ولقد شهده ابن قتيبة أيضاً كما شهده غيره مما سبق .

وكما كانت حياة الخلفاء كانت حياة الناس ، وكما عاش الخلفاء على رهب وفزع عاش الناس على خوف وحذر لايملكون أن يقولوا ولا أن يفصحوا ، وكانت هذه الحياة الرهيبة المسكتة للألسن لها هذا الأثر الثانى الذى أرادته، ولكنه كان أثراً ذا مظهر آخر كما قلت ، مظهر يطوى تحته الخشية والتحرز ، فلم يعد الشعراء يملكون النفوس الجريئة والعواطف المنطلقة ، ولم يعد الكتّاب يملكون الأقلام المتحررة ، من أجل ذلك خمدت فى الشعر جذوته ، ومن أجل ذلك التزم الكتّاب جانب الخشية والحذر.

وقد لانلمس ذلك واضحاً مع جامعى الأخبار الأدبية ، ولكنا نكاد نلمسه جليًّا مع المؤرخين حين يتناولون تلك الحقبة التى عاشوها بالحديث عنها ، فنرى ابن قتيبة ، وهو الذى عاش مع تلك الأحداث وأحس ألمها ومضاضتها ، حين يترجم للمتوكل ، ثم للمستعين بالله ثم للمعتز ثم للمهتدى ، يوجز أخبارهم إيجازاً غريباً فتكاد الترجمة لا تزيدا على السطر أو السطرين ، ولا يعنينا فيها هذا الإيجاز وإنما يعنينا فيها ذلك الحديث العابر الفاتر الذى يخلو من أية إشارة إلى ما كان ، فهو لا يزيد فى وصف مقتل كل منهم على كلمته المألوفة: « وقتل فى سنة ...»

وهذا الذى خطه ابن قتيبة لنفسه خط مثله ابن حبيب لنفسه ولم يزد هو الآخر شيئاً .

هذا هو المظهر الذى نعنيه، والذى كان أثراً من آثار ذلك الإرهاب. والطريف أن ابن حبيب ، وابن قتيبة من بعده ، حين وجدا أنهما مضطران لهذا فيما وقع

بين أيديهم وتحت أعينهم عالجوا ما قبل هذا مما لم يقع بين أيديهم وتحت أعينهم على الوتيرة نفسها حتى لا يقال إنهم أفاضوا فى ناحية وأوجزوا فى ناحية ، وجعلوا الإيجاز فى سَوْق الأحداث التاريخية كلها طابعهم العام حتى لا يؤخذ عليهم شىء.

وهكذا كان ابن قتيبة فى كتابه « المعارف» معبراً عن بيئته أصدق تعبير ، عبر عنها فى هذا المظهر الجامع حين فشت الكتب المترجمة تحمل مناهج جديدة ، وعبّر عنها فى ذلك التحرز حين كانت الخشية واجبة .

وما ندرى هل نلوم ابن قتيبة على وقوفه خائفاً حذراً لا يملك الشجاعة فى أن يعبر عما تحت حسه ، ولا أن يطلق لقلمه العنان يصف ما يحدث بين يديه ، أم نلتمس له فيها عذراً ؟ وما ننكر أن ابن قتيبة كان حريصاً على شيئين : حريصاً على حياته ، ثم حريصاً على ألا يترك الناس من بعده يعيبون عليه خوفه وحذره . ولقد حقق لحرصه الأول ما أوحى به فأوجز هذا الإيجاز المخل ، ثم حقق لحرصه الثانى ما يمليه عليه فجعل الإيجاز طابع الكتاب كله حتى لا يؤخذ عليه شىء. ولقد ظن بهذا الذى فعل أنه نجا من اللوم ، ولكنه قد فاته أن المؤرخ الذى يسلك مثل هذا المسلك قل أن يفلت من تبعة مافرط فيه ، وإنا إن غفرنا له إيجازه فيما لم يشاهد، بحجة أن غيره سبقه إلى الكتابة فيه وأفاض، وأنه ليس عنده ما يزيد عليه ، فبعيد أن نغفر له إيجازه فيما شاهد ووقع بين يديه ، وكان هو أحد رواته الذين يعتمد عليهم فى ذلك ، مهما تكن الأحوال ، ومهما تكن العواقب ، وما بالعسير على الكاتب أن يحتال شيئاً فى سرد مايحب فيبلغ الأمان الذى يريد ، دون أن يفرط فى الواجب أو يحيد .

ولكنا لاندرى على أية صورة كان ذلك الإرهاب ، ولا على أية صورة كان موقف الناس منه ، غير أنا نكاد ننتهى إلى أنه كان ملجماً للألسنة كما قلنا ، وأن كتاب المعارف كان صورة حقة لذلك فى شقه التاريخى لا فى شقه الأدبى ، فهو إلى جانب مافيه من إفاضة فى المعرفة ، جاء يمثل تلك الظاهرة الأخرى خير تمثيل ، فأوجز الإيجاز كله ، لذا كانت التفاتتى إليه ، ولذا فكرت فى نشره .

٢

ومنذ نحو من أعوام ثمانية قدمت للمكتبة العربية هذا الكتاب « المعارف لابن قتيبة» فى صورة محققة مدروسة ، وكنت مسبوقاً فيها بطبعتين : إحداهما فى جوتنجن (سبتمبر سنة ١٨٥٠م) بعناية المستشرق « ا. ف وستنفيلد » والثانية فى القاهرة (سنة ١٩٣٤م) .

وكانت هاتان الطبعتان ينقصهما الكثير من مقومات التحقيق الحق ، على الرغم مما بذل فيهما من جهد ، إذ كانت ثمة مخطوطات لم يرجع إليها ، كما كانتا تفتقران إلى مقدمة دارسة ، وشروح مبينة ، وتعقيبات موضحة ، ثم فهارس جامعة شاملة .

ولكن من الحق أن أذكر أن طبعة « جوتنجن » كانت أقرب الطبعتين إلى الكمال ، بما التزمته من الرجوع إلى ما اعتمدت عليه من مخطوطات ، و بما أضافته من كلمة قصيرة شارحة ، وفهارس تعرض الرؤوس لا الفروع .

وكان هذا كله الذى أحسست أن الكتاب ينقصه ليخرج فى طبعة تتفق وقدره ، مما حفزنى على الأخذ فى تحقيقه لأستوفى ما لم يكن قد استوفى .

وأظننى قد وفيت ذلك كله فى طبعتى التى قدمتها للمكتبة العربية ، فلم أترك مخطوطاً لم أرجع إليه ، ويسرت ما أمكننى التيسير على القارئ بعرض المقابلات وسرد الشروح والتعقيبات ، وختمت الكتاب بفهارس بلغت أبوابها اثنى عشر باباً ، تنتظمها صفحات تربى على المائة والخمسين ، هذا إلى التقديم الوافى الذى تناولت فيه البيئة التى نشأ فيها ابن قتيبة ومهدت لظهوره ، ثم الحديث عن حياته الخاصة والعامة ، ثم الحديث عن مؤلفاته ، ثم الحديث عن هذا الكتاب — أعنى المعارف — وملابساته وما سبقه من نوعه وما لحقه ، وما أفادته المكتبة العربية منه .

ورأيت أن أفصل هناك بين الحواشى التى للمقابلات ، وبين الحواشى التى للشروح والتعقيبات ، فجعلت لهذه أرقامها المستقلة ولتلك أرقامها المستقلة ، ثم فصلت بينهما فصلا يرفع اللبس ، فجعلت أرقام الأولى بالإفرنجية وأرقام الثانية بالعربية .

وذلك منهج رأيته ألزم للمحقق أن يأخذ به نفسه فيقدم النص خالصاً بمقابلاته ومخالفاته ويجعل الشروح والتعقيبات فى إثر ذلك مستقلة كما فعلت ، ولقد رأيت المستشرقين يكتفون بإثبات المقابلات ولايضيفون إليها شروحاً وتعقيبات . ورأيت المنهج الشائع فى الشرق المزج بين العملين ، أى بين إثبات المقابلات وبين الشروح والتعليقات دون فصل بينهما .

وما من شك فى أن الأمرين مطلوبان ، فنحن بإثبات المقابلات ملزمون ، ثم نحن — أصحاب هذا التراث — نحس بعد هذا حاجة القارئ إلى تيسير وتوجيه وتبيين ، من أجل ذلك جاوزنا الشق الذى التزمه المستشرقون وأضفنا إليه تلك الزيادات الشارحة ، ولكن ذلك يجب أن يكون على تلك الحال التى التزمتها من فصل بين الأمرين ، حتى نجعل النص خالصاً كما قلت والشروح بمعزل عن ذلك .

وكنت فى مقدمتى التى قدمت بها للكتاب فى طبعته الأولى مسبوقاً بمقدمات جاءت حول كتب لابن قتيبة طبعت طبعات محققة — مثل عيون الأخبار ، ومشكل القرآن ، والميسر والقداح — تضمنت تراجم لابن قتيبة . وأشق مايحسه الآخذ فى الترجمة لمؤلف كتاب أن يجد نفسه مسبوقاً إلى ذلك بتراجم لمعاصرين نهضوا بمثل ما ينهض به لهذا المؤلف فى كتب أخرى له ، إذ عليه عند ذلك أن يمعن فى البحث ويستقصى بعد ما استقصوا ، وفرق بين أن تواجه العمل لم يسبقك إليه غيرك فتجد السبل كلها فى يديك وتجد نفسك بين يدى مادة لم تمتد إليها يد فتشكل فيهاحيث تشاء ، وبين أن تواجه عملا قد سبقك إليه غيرك فتجد مادته قد استنفدت استقراء ، وتجد أن عليك أن تنقب وتمعن فى التنقيب لعل ثمة شيئاً فات من سبقوك ، كما تجد أن عليك أن تنظر فى أعمالهم نظرة شاملة فاحصة لعل ثمة أمراً لايستقيم لرأيك .

وهكذا كان لزاماً علىّ ، وأنا أترجم لابن قتيبة ، أن أحمل هذا العبء فى الاستقصاء ، وأظننى قد وفيت الأمر حقه ، وقدمت مقدمة فيها هذا الشمول الذى أردته ، وفيها هذا الاستقصاء الذى وفقت إليه ، وفيها هذا التعقب لمن سبقونى .

ولقد كان من أهم ماعرضت له فى مقدمتى وأفضت فيه ، ذاك الذى أثير قديماً — ولا يزال يثار — حول مابين هذا الكتاب « المعارف » ، وبين كتاب « المحبر » لابن

حبيب ، من صلة ، يغالى بعضهم فيها فيجعل ابن قتيبة عالة على ابن حبيب فى كتابه « المحبر » لايكاد يكون له فى كتابه « المعارف » غير شىء من تحوير ، وشىء من تشكيل ، وشىء من إضافات تاريخية ، تشمل تلك السنين المعدودة التى عاشها ابن قتيبة بعد ابن حبيب ، والتى بلغت ثلث قرن تنقص عنه قليلا ، فلقد كانت وفاة ابن حبيب سنة ٢٤٥ ﻫ ، وكانت وفاة ابن قتيبة سنة ٢٧٦ ﻫ .

أجل لقد ضمنت مقدمتى تفصيلا اتسعت له صفحات ثمان (٦٣ — ٧٠) أثبتّ فيه ما لابن قتيبة فى هذه القضية وما عليه ، وناقشت ماجرى على ألسنة القدماء تلميحاً أو تصريحاً حول هذه الدعوى .

ولقد استقصيت فى ذلك ما وسعنى الاستقصاء ، وكما عرضت للآراء بالحجة العقلية عرضت لها بالحجة النقلية ، فوازنت بين نصوص من الكتابين — أعنى المعارف والمحبر — جاءت حول غرض واحد ، كما وازنت بين أسلوب هذا وأسلوب ذاك ، ونهج هذا ونهج ذاك ، لأنتهى إلى ذلك الرأى القاطع الذى انتهيت إليه .

٣

ولكن الشىء الذى لم أكن أملك حجته عن مشاهدة واستقراء ، حين أخرجت طبعتى الأولى من كتاب « المعارف » ، هو الموازنة بين كتاب « المعارف » وكتاب آخر لابن حبيب هو « المنمق » ، لذا سقت هناك عنه كلمة عابرة .

ولقد كان هذا الحكم الذى سقته حينذاك أن هذا الكتاب — أعنى المنمق — يضم أبواب المحبر أو أكثرها — مقدمة الطبعة الأولى : ٦٩ — معتمداً فى حكمى هذا على كلمة الختام التى عقب بها الأستاذ الفاضل « محمد حميد الله » على كتاب « المحبر » .

ولم يكن كتاب « المنمق » بين يدى ، كما لم يكن ثمة نص آخر يكشف شيئاً عن أبواب كتاب « المنمق » ومحتوياته ومنهجه ، نعم ، لم يكن بين يدى عن كتاب المنمق — غير ماذكره الأستاذ « محمد حميد الله » ، هذا إذا استثنينا قلة من مراجع لم تذكر عن الكتاب غير اسمه مع تخليط فى موضوعه ؛ فقد ذكر

ياقوت فى كتابه « إرشاد الأريب » ، وهو يترجم لابن حبيب نقلا عن ابن النديم ، أن له كتاب الأمثال على « أفعل » ، ويسمى : المنمق .

وهكذا نرى ياقوت قد جعل كتاب « المنمق » فى الأمثال التى على « أفعل » ، ثم نراه بعد هذا يعزو هذا الذى ذكره إلى ابن النديم . والغريب أن ابن النديم لم يذكر هذا أو قريبا منه ، فهو يقول فى كتابه « الفهرست » ، وهو يذكر كتب ابن حبيب التى بلغت على عدِّه خمسة وثلاثين كتابا ، وله — يعنى ابن حبيب — من الكتب كتاب الأمثال على « أفعل » . ولم تجئ فى الكتاب — أعنى الفهرست — تلك الزيادة التى زادها ابن حبيب عنه من تسمية ذاك الكتاب باسم « المنمق » ، وماندرى أذلك من السقط الذى منى به كتاب الفهرست ، أم هى سقطة من سقطات ياقوت .

ثم نقع فى كتاب « التكملة » للصغانى ، وفى ذلك التذييل الذى ذيل به كتابه والذى يذكر فيه الصغانى الكتب التى رجع إليها وأفاد منها ، والتى قاربت الألف فيما يقول ، فنجده قد ذكر من بينها لابن حبيب تسعة كتب منها « المنمق » .

واصطفاء الصغانى لكتاب « المنمق » وجعله من مراجعه فى معجمه اللغوى يلفتنا إلى أن الكتاب — أعنى المنمق — فيه شىء من مادة معينة كالشعر الاستشهادى أو أسماء القبائل والأعلام ، وهذا وذاك لاشك مما كانت لابن حبيب فيه جولات ، غير أن هذا الحكم لم يكن سوى ظن ، ولم يكن الظن ليلقى ضوءاً يجلوما فى كتاب « المنمق » وإن كان يحدد موضوع الكتاب تحديدا يُقَرِّبنا من موضوعه شيئًا .

وهكذا لم يكن لى كما يرى القارئ غير ماساقه الأستاذ « محمد حميد الله » عن كتاب « المنمق » ، لاسيما وهو يحدث عن معاينة ، وغير تلك الاستنباطات التى استقيتها من تلك المراجع القليلة .

فهو يقول فى كلمة الختام (المحبر ٥٠٤) : « وكتاب المنمق هذا كتاب فى نفس موضوع كتاب المحبر » .

ثم يقول فى (ص ٥١١) وهو يتكلم عن كتاب المحبر : « وأنا أظن أنه ألفه بعد كتابه المنمق ، وموضوعهما واحد وفصول عديدة منهما مشتركة اللفظ والمعنى » .

يقول هذا وذاك الأستاذ «محمد حميد الله» بعد أن وقعت له نسخة من «المنمق» نقلت عن النسخة الأم التى كانت ملك السيد « ناصر حسين» ببلدة«لكهنو»فى الهند ، فهو يقول : « ومن مفاخر بلادى وحسن حظى أنى حصلت على نسخة هذا الكتاب فى أثناء طباعة المحبر فأضفت إليه بعض الفوائد المأخوذة من« المنمق، وسيراها القارئ فى الحواشي والتعليقات » .

إلى هنا لايملك القارئ لكلمات الأستاذ « حميد الله » إلاأن يطمئن شيئاً إلى أنه ثمة تشابه بين الكتابين المحبر والمنمق ، وإلى أن هذا التشابه من القوة بمكان .

وحين انتهيت من تقصى المقابلات التى عرضها الأستاذ « حميد الله » تساءلت: أين ذلك الاتفاق الكبير بين الكتابين؟ وهل هذه المقابلات هى كل ما بين الكتابين من مخالفات ؟ وأن ما بعد ذلك مما لم تثبت فيه مقابلات ماض على وتيرة واحدة لاخلاف فيه بين الكتابين .

كان هذا ما ظننته ، وكان هذا ماأوحت به كلمة الأستاذ «حميد الله» عن الكتابين .

وعلى هذا جاءت كلمتى فى مقدمتى للطبعة الأولى من كتاب « المعارف » فلقد كنت فيها أسيرَ هذه المعلومات التى أفدتها من كلمة الختام تلك . ولكنى بقيت أرقب الحصول على نسخة من كتاب« المنمق » ، وكنت أعرف أن الكتاب مخطوط وأنه ليس ثمة منه غير مخطوطة فريدة .

وتمضى الأيام فإذا كتاب « المنمق » يصادف من يلتفت إليه ليحققه وينشره على الناس مطبوعاً ، وإذا هو يخرج إلى الناس فى صورة طيبة بعناية أستاذ كريم هو الأستاذ« خورشيد أحمد فارق » أستاذ اللغة العربية بجامعة دلهى .

وعلى الرغم من أنه طبع سنة ١٩٦٤ م ، غير أنه لم يقع لى إلا منذ حين قليل وأنا أعد لهذه الطبعة الثانية من كتاب « المعارف » ، وكان لابد لى من نظرة فيه فاحصة ، فإذا الكتاب يحمل عنوانه كاملا« كتاب المنمق فى أخبار قريش »، وإذا أبوابه كلها حول هذا العنوان لاتبعد منها فى قليل ولا كثير ، وإذا الكتاب نهج آخر غير نهج «المعارف » وغير نهج « المحبر» .

وكان لابد بعد أن وقع لى كتاب «المنمق» وأصبحت أملك الموازنة عن معاينة كما ملكها الأستاذ «حميد الله» من قبل عن معاينة ، أن أعارض نصًّا بنص ، أعنى نص المحبر بنص المنمق ، فإذا هذه الموازنة تكشف لى فى أماكنها السبعة عن اتفاق ليس على الصورة التى صورها الأستاذ « حميدالله » ، وإليك هذه النصوص السبعة كما هى فى « المحبر » وكما هى فى « المنمق» :

أولها : (المحبر ص ١٣٧) عند الكلام على « أزواد الركب » ، فالنص فى « المحبر » :

أزواد الركب ، الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزّى ، ومسافر بن أبى عمرو بن أمية ، وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد » .

والنص فى «المنمق» (ص ٤٦٠ ـ ٤٦١ المطبوعة) : أزواد الركب من قريش. وكانوا إذا سافروا لم يختبز معهم أحد ولم يطبخ ، وهم :

الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، ومسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس ، وأبو أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر ابن مخزوم ، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد » .

وثانيها : عند سوق أبيات للحزين الكنانى (المحبر ص ١٥٢) وهى :

فإن تك ياطلح أعطيتنى عذافرة تستخف الضفارا (١)
فما كان نفعك لى مرة ولا مرتين ولكن مرارا
أبوك الذى صدّق المصطفى وسار مع المصطفى حيث سارا
وأمك بيضاء تيميّة إذا عدّد الناس كانت نضارا

ففى البيت الأخير منها « كانت نضارا »

وأضاف الأستاذ « حميدالله » : « وفى المنمق لابن حبيب (ص ٣٠٧) «كانوا نصارا » ، وهو يعنى ما جاء فى النسخة المخطوطة .

وحين رجعنا إلى النسخة المطبوعة من المنمق (ص ٤٧٩) وجدنا أنه ليس

---

(١) العذافرة : الناقة الشديدة الأمينة الوثيقة الظهر . والضفار : الشعر المضفور يشد به البعير .

ثمة خلاف، وأن الروايتين لا تختلفان، وأن السيد محقق الكتاب «خورشيد أحمد فارق» لم يشر إلى شيء مما أشار إليه السيد «حميد الله». ولعله وقع عليه ولكنه لم يجد مايستحق الإثبات، إذ ليس هذا موضع خلاف، إلا إذا سبق إلى الظن أن الكلمة تدل على من كانوا غير مسلمين، وفى هذه كان لابد أن ترسم « نصارى» بالياء.

وثالثها : عند الكلام على المستهزئين من قريش فالنص فى المحبر (ص ١٥٨) :

« المستهزئون من قريش وماتوا ميتات مختلفات كفاراً، منهم: العاصى بن وائل السهمى، والحارث بن قيس بن عدى الكلبى، وهو صاحب الأوثان، وكان إذا مر بحجر أحسن من الذى عنده أخذه وألقى الذى عنده، وفيه نزلت (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه)[1]. والأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى. والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والأسود بن عبد يغوث ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة ».

إلى هنا ينتهى نص « المحبر »، وهو كذلك فى «المنمق» ليس فيه غير خلاف واحد فى اسم، الحارث بن قيس بن عدى، فقد جعله « المحبر » من « كلب » فقال « الكلبى » وجعله « المنمق » من « سهم »، فقال « السهمى ». وأما ما بعد هذا فقد ساق «المنمق» زيادة طويلة، وهى تقع فى النسخة المطبوعة (٤٨٤ — ٤٨٧) :

« فأما سبب موتهم فإن العاصى بن وائل خرج فى يوم مطير على راحلته ومعه ابنان له يتنزه ويتغذى، فنزل شعباً من تلك الشعاب، فلما وضع قدمه على الأرض صاح، فطافوا فلم يروا شيئاً، فانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق البعير، فمات من لدغة الأرض.

وأما الحارث بن قيس فإنه أكل حوتاً مالحاً فأخذه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انقدّ[2]، فمات وهو يقول : قتلنى رب محمد.

---

(١) الفرقان : ٤٣

(٢) انقد : أصابه وجع فى بطنه.

وأما الأسود بن المطلب فكان له ابن بارٌّ به يقال له زمعة ، وكان متجره إلى الشام، فكان إذا خرج من عند أبيه فى سفر قال: أسيرُ كذا وكذا، أو آتى البلد يوم كذا وكذا . ثم أخرج يوم كذا وكذا ، فلايخرم مما يقول شيئاً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه أن يعمى الله بصره ويثكله ولده ، فخرج فى ذلك اليوم الذى وعده فيه ابنه زمعة القدوم ، ومعه غلام له، فأتاه جبريل عليه السلام، وهو قاعد فى ظل شجرة ، فجعل يضرب رأسه وجبهته بورقة خضراء فذهب بصره ، ويضرب وجهه بالشوك ، فاستغاث غلامه ، فقال: ما أرى أحداً يصنع بك شيئاً إلا نفسك ، فأعمى الله بصره وأثكله ولده .

وأما الوليد فمر عليه رجل من خزاعة وعنده نبل قد راشها [1] ، فتعلق به سهم. وقد تقدم ذكر قصة الوليد وموته فى الكتاب [2] .

وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج من عند أهله فأصابته السموم فاسود ، فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه ، فمات وهو يقول : قتلنى رب محمد .

وحكى إبراهيم بن سعد أن جبريل عليه السلام : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت، فمر الأسود بن المطلب فرمى وجهه بورقة خضراء فعمى، ومر به الأسود بن عبد يغوث الزهرى فأشار إلى بطنه فاستسقى ومات حبناً [3] ، ومر الوليد فأشار إلى أثر جرح فى أسفل كعبه كان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر إبله ، فمر برجل من خزاعة فتعلق سهم من نبله بإزاره فخدشه خدشاً وليس بشىء ، فلما أشار إليه جبريل عليه السلام انتفض ذلك الخَدْشُ فقتله .

ومر به العاصى بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له، وهو يريد الطائف ، فربض به حماره على شِبرقة [4] ، فدخلت فى أخمصه منها شوكة فقتلته .

---

(١) راشها : وضع فيها الريش .

(٢) ساق المنمق حديث موت الوليد (ص ٢٣٤ – ٢٣٤) .

(٣) الحبن : الاستسقاء .

(٤) الشبرقة ، بالكسر : واحدة : والجمع : الشبرق ، وهو شجر شائك .

ورابعها : حول كلمة فى بيتين للحارث بن حنش السلمى يقولهما لهاشم ، وكان أخاه لأمه ، ساقهما المحبر (ص ١٦٢) فقال :

إن أخى هاشمًا ليس أخا واحد　　والله ما هاشم بناقص كاسِدِ
والخير فى ثوبه فى حفرة اللاحد　　الآخذ الألف والوافد للقاعد

وكذا البيتان فى المنمق (ص ٣٤) غير خلاف واحد فى كلمة « الألف » فهى فى المنمق « الإيلاف » وقد صوبها محقق« المنمق » عن « المحبر » .

وخامسها : فى أبيات ثلاثة لمطرود بن كعب الخزاعى ساقها المحبر (ص ١٦٣) وهى :

مات النّدى بالشام يوم ثوى كما　　أودى بغزة هاشم لايبعد
لايبعدن [1] ربّ الفناء نعوده　　عود السقيم يجود بين العود
فحِفانه ردم [2] لمن ينتابه　　والنصر منه باللسان وباليد

وساقها المنمق (ص ٣٤) كما هى لم يخالف إلا فى صدر البيت الأول ، فقد رواه :

* مات النّدى بالشام لما أن ثوى *

ولم يشر إلى هذا السيد « حميد الله » .

وسادسها : حول شعر لمطرود أيضا. فقد ساق المحبر له (ص١٦٣ــ١٦٤) أبياتًا أربعة ، وهى [3] :

إن المغيرات وأبناءهم　　لخير آباء وأمّات
للبيض فيض كلهم سيد　　أبناء سادات لسادات
قبر بردمان وقبر بسلما　　ن وقبر عند غزّات
وميت مات قريباً لدى الـ　　ـحجون من شرق الثنيّات

وقد رواها «المنمق» أيضاً (ص٣٦ــ٣٧) مع اختلاف فى بعض الألفاظ وزيادة أبيات ثلاثة بعد البيت الرابع ، وهذه هى كما وردت فى «المنمق» :

---

(١) لا يبعدن : لا يموتن .
(٢) الردم ، بضمتين : جمع ردوم ، بفتح فضم هى القصعة الممتلئة : تتصبب جوانبها .
(٣) انظر شرح الأبيات مع رواية المنمق التالية بعد .

إن المغيرات وأبناءهم لخير أحياء وأموات
أربعة كلهم سيد أبناء سادات لسادات
آخلصهم عبد مناف فهم من لوم من لام بمنجاة
قبر بسلمان وقبر برد مان وقبر عند غزات [1]
وميت مات قريباً لدى الـ حجون من شرق البنيات [2]
يا ليلة هيجت ليلاتى إحدى ليالى القسيات [3]
هيجت لى أحزان ما قد مضى لما تذكرت المنيـــات
لما تذكرت منافا بنى عبد مناف بت [4] حاجاتى

وسابعها: عند الكلام على أبناء الحبشيات. فقد ساقهم المحبر (ص ٣٠٦–٣٠٩) وساقهم المنمق (٥٠٣–٥٠٥) وبينهما خلاف كبير، وها هما النصان :

نص المحبر :

أبناء الحبشيات : نضلة بن هاشم بن عبد مناف، نفيل بن عبد العزى ابن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب. عمرو بن ربيعة ابن الحارث بن حبيب بن جذيمة، من بنى عامر بن لؤى. وأمهم صهال حبشية كانت لهاشم بن عبد مناف. الخطاب بن نفيل، وأمه حية، كانت لجابر بن أبى حبيب الفهمى. وذكروا أن ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى عير عمر بن الخطاب فقال له : يابن السوداء، فأنزل الله تبارك وتعالى: (ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم) [5] .

(١) سلمان : ماء قديم، عنده قبر نوفل بن عبد مناف. وردمان : موضع باليمن، وبه قبر المطلب بن عبد مناف .. وغزات، يريد: غزة، وجمع للشعر، وغزة: مدينة كانت تعد قديماً فى أقصى الشام، وفيها قبر هاشم بن عبد مناف.

(٢) الحجون : جبل بأعلى مكة، وبالقرب منه قبر عبد شمس بن عبد مناف. والبنيات : يريد : البنية، بفتح فكسر ثم ياء مشددة، وهى مكة وجمع للشعر.

(٣) القسيات : جمع قسية، وهى الشديدة من حر أو برد أو قحط ونحوه.

(٤) كذا أثبتها السيد المحقق وقال : « فى الأصل : وابنا، ولا يستقيم الوزن ».

(٥) الحجرات : ١١ .

عمرو بن العاص بن وائل السهمى ، معمر بن عثمان التيمى . الحارث ابن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ، وأمه سيحاء حبشية نصرانية ، عثمان ابن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصى . صفوان بن أمية بن خلف الجمحى ، هشام بن عقبة بن أبى معيط مالك بن عبيد الله بن عثمان الأموى . عمير بن جدعان التيمى. أبو مليكة بن عبد الله بن جدعان التيمى. عبد الله بن أبى مليكة بن عبد الله بن جدعان . عبيد الله بن عبد الله ابن أبى مليكة . المهاجر بن قنفذ بن عمرو بن جدعان . عبيد الله بن عبد الله بن معمر بن عثمان التيمى . مسافع بن عياض بن صخر بن كعب التيمى . قرظة بن عبد عمرو بن نوفل . أبو فاختة بنت قرظة ، زوج معاوية ابن أبى سفيان . السباق بن عبد الدار بن قصى . عبد الله بن قيس بن عبد الله بن الزبير بن العوام . سمرة بن حبيب بن عبد شمس . عبد الله ابن مسافع بن طلحة ، من بنى عبد الدار ، عبد الله بن زمعة ، أخو بنى عامر بن لؤى . أسامة بن زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . عمرو بن هصيص بن لؤى ، وأمه قسامة . عبد الأعلى بن عبد الله ابن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، يزيد بن كيسان الضمرى ، أمه حبشية . كردوس بن السفاح التغلبى ، عنترة بن شداد بن معاوية العبسى ، أمه زبيبة . السليك بن يثربى السعدى ، أمه السلكة . خفاف بن عمير ، وأمه ندبة ، بها يعرف . عبد الله بن خازم السلمى ، وأمه عجلى . عمير بن الحباب السلمى ، أمه الصمعاء . همام بن مطرف التغلبى . يعلى بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، وله يقول الشاعر :

كأن على مفارق رأس يعلى ... خنافس موتت زمن البطاح
على اسم الله ثم ليدى غلاماً ... فسميه بأفلح أو رباح

شعبة بن هانى بن قبيصة الشيبانى ، سعيد بن عمرو الحرشى ، أسيد بن علاج الثقفى ، عبد الله بن سبأ ، صاحب السبئية ، المتلمس ، الضبعى الشاعر أمه يقال لها سحمة ، زياد بن عوف بن حارثة بن قتيرة ، من السكون ، كان فارساً وأمه هنداية . محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على

ابن الحسين بن على . على بن محمد بن على بن موسى . موسى بن محمد ابن على بن موسى . جعفر بن إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد بن على عبد الله بن حمزة بن موسى بن جعفر بن إسحاق بن موسى بن جعفر . درج. إبراهيم بن حسن بن حسن . محمد وجعفر ، أبناء إبراهيم بن حسن . سليمان بن حسن ، عقيلى ، محمد بن داود بن محمد بن سليمان ، حسنى . أحمد بن العباس بن الحسن بن عبيد الله من بنى العباس بن على بن أبى طالب . أحمد بن أبى عبد الملك بن أبى مروان بن أبى عفان ، من ولد عثمان ابن عفان . العباس بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام . العباس ابن المعتصم . محمد بن عبد الله بن إسحاق المهدى ، الملقب بنفاطة . ابن لهبة الله بن إبراهيم بن المهدى . أمه رمار. أحمد بن محمد بن صالح المخزومى . الأخنس ، وهو. . . الأرقم وهو. . . (١) !

ونص المنمق :

أبناء الحبشيات من قريش

نضلة بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ، أمه صهال ، ونفيل بن عبد العزى العدوى ، أمه صهال أيضاً ، وعمرو بن ربيعة بن حبيب ، من بنى عامر بن لؤى أمه أيضاً صهال هذه ، والخطاب بن نفيل العدوى ، أمه حية . والحارث ابن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ، أمه سبحاء ، وعثمان بن الحويرث بن أسد ابن عبد العزى ، وصفوان بن أمية بن خلف الجمحى . وهشام بن عقبة ابن أبى معيط ، ومالك بن عبيد الله بن عثمان الأموى ، وعمير بن جدعان التيمى والعباس بن على بن أبى طالب ، عليهما السلام . وأحمد بن أبى عبد الملك ابن أبى مروان بن أبى عفان ، من ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وأحمد بن محمد بن صالح المخزومى ، والأرقمى ولم يعرف اسمه ، والعباس بن المعتصم ، وهبة الله بن إبراهيم بن المهدى ، ومحمد بن عبد الله بن إسحاق

(١) كذا فى الأصل .

ابن المهدى، الملقب بنفاطة . والعباس بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

هذه هى المواضع السبعة التى وجدنا فيها مقابلات بين «المنمق» و «المحبر» ؛ هذا إذا استثنينا موضعين آخرين مكانهما من « المحبر » (ص١٦٦ ، ١٩٦) ومكانهما من «المنمق» (ص ٤٢ ، ١٩٣) أولهما : عن استكمال كلمة جاءت مطموسة فى «المحبر » ، وثانيهما : عن إشارة إلى كلمة جاءت محرفة فى «المنمق» ؛ وهى «أوارة» فقد قرأها الأستاذ «حميد الله» : « أراره » براءين ، وإلى ذلك أشار ولم يشر إلى ذلك محقق « المنمق» .

٤

وأرى بعد هذا أنه من الخير أن أثبت هنا ثبت موضوعات «المحبر» ، وثبت موضوعات «المنمق » ، حتى أضع بين يدى القارئ موضوعات هذا وموضوعات ذاك ، لاسيما أن الكتابين عزيزا المنال ، وأنه ليس ثمة منهما نسخ موفورة ، ولكى نتبين معاً مابين الكتابين من اتفاق أو اختلاف فى وضوح وجلاء ..

وهذا هو ثبت « المحبر » :

ثبت المحبر

المدد التى بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام — أعمار الأنبياء — ذكر تاريخ العرب — مولد النبى صلى الله عليه وسلم — تسمية من أقام الحج — أسماء الخلفاء الراشدين — الخلفاء الأمويون — الخلفاء العباسيون — أبناء القرشيات من الخلفاء — أبناء العربيات من الخلفاء — أبناء أمهات الأولاد من الخلفاء — المشبهون بالنبى صلى الله عليه وسلم — العواتك اللواتى ولدن رسول الله — الفواطم اللاتى ولدنه — بنات رسول الله وأصهاره وأصهار الخلفاء وغيرهم — أصهار أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن رضى الله عنهم — أصهار الخلفاء من بنى أمية وعبد الله بن الزبير — أصهار الخلفاء العباسيين — أصهار عبد المطلب وأعيان ولده

ملك الأرض كلها من الجن والإنس – بنو إبراهيم – قبائل العاربة – أسماء ولد إبليس لعنه الله – الوافيات لأزواجهن اللواتى لم يتزوجن بعدهم – النسوة اللواتى كان أمرهن إليهن فى القيام والطلاق لشرفهن – إمرأة شهد أبوها وجدها وزوجها بدراً – امرأة شهد لها مع رسول الله سبعة بنين – امرأة شهد أخواها وغيرهما بدراً – امرأة شهد أبوها وعمها بدراً – امرأة استشهد أخوها وخالها وزوجها يوم أحد – امرأة شهد لها أربعة أزواج وأخوها بدراً – امرأة شهد لها زوجان وابنها وابن أخيها بدراً – امرأة أولدها رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير – امرأة قتل أخوها وابنها وزوجها بأحد – امرأة تعد اثنى عشر خليفة كلهم لها محرم – امرأة تعد تسعة من الخلفاء كلهم لها محرم – امرأة تعد عشرة من الخلفاء كلهم لها محرم – أسماء النسوة المبايعات رسول الله – النسوة اللاتى لحقن بالمشركين فأعطى رسول الله أزواجهن مهورهن – الوافيات من النساء – أسماء من تزوج ثلاثة أزواج فصاعداً من النساء – المنجبات من النساء – ولد ربيعة أربع نسوة وقد ربع أخوهن وأبوهن وزوجهن وابنهن – أسماء نقباء بنى إسرائيل – أسماء الحواريين – أسماء نقباء بنى العباس – النماردة – الفراعنة – أسماء المفسدين فى الأرض – أسماء المنافقين – من شرب الخمر صرفاً – أسماء المؤلفة قلوبهم – أسماء حوارىِ رسول الله – أشراف المعلمين وفقهاؤهم – أسماء المصلبين من الأشراف – من نصب رأسه من الأشراف – الفرارون .

* * *

ثبت المنمق

٥

وبعد ، فهذان هما ثبتا «المحبر» و« المنمق » ، يسردان لنا الموضوعات سرداً . وها نحن أولاء نرى أن الاتفاق بينهما فى هذا القدر القليل الذى أشرت إليه والذى لا يعدو صفحات ، وأن ما بعد هذا فالأبواب مختلفة وأنه ليس ثمة اتفاق بينهما .

ونحن بعد هذا نملك ثبت المعارف ، وهو قريب هنا بين يدينا ، وإن نظرة شاملة فى هذه الأثبات الثلاثة تقفنا على مناهج هذه الكتب : «المحبر» و«المنمق» والمعارف ، وتكشف لنا عما فيها ، وتعطينا البرهان القاطع والحجة البينة .

فالمحبر والمعارف كما ترى موسوعتان تاريخيتان تمضيان كما تمضى الموسوعات التاريخية فى تسلسل واتساق معين ، من أجل هذا جاء هذا الشك فى صلة الكتابين ــ أعنى المحبر والمعارف ــ وأن ثانيهما أخذ من أولهما ، ولكن كتاب المنمق يتناول جزئية من جزئيات الكتابين ، وهو يتناولها فى تفصيل كثير ، لأنه فرغ لها . من أجل هذا جاء هذا الاتفاق بينه وبين المحبر وبينه وبين المعارف فى هذه الجزئية وحدها ، لم يشاركهما فى غيرها ، فما عرض حول هذه الجزئية فى «المحبر» لاشك جاء مفصلا فى «المنمق» ، إذ أن الموضوع الذى أفرد له « ابن حبيب » كتابه « المنمق » كان غرضاً مقصوداً بعينه ، فاحتاج إلى هذا التفصيل ، ولم يكن كذلك فى كتاب « المحبر» لهذا أوجز ، ومن أجل هذا الاتفاق الذى لم يكن يعرف مداه أثير هذا الشك عن صلة كتاب المعارف بكتاب المنمق ، بعد أن أثير مثله عن كتاب المحبر ، غير أن هذه الصلة الثانية كنا نملك أدله الموازنة فيها وأسباب الحكم ، وكانت الصلة الأولى ظنـاً عامـاً قبل أن يعثر على نسخة من المنمق ، ثم كانت ظنـاً خاصـاً حين عثر على نسخة من هذا الكتاب وحين قدمها لنا الأستاذ « حميد الله » فى كلمة الختام التى ختم بها عمله فى كتاب المحبر ، ثم كانت كلمة فاصلة حين ملكنا كتاب المنمق واستوعبنا ما فيه .

ولقد بدا واضحاً أن الاتفاق بين الكتابين ليس كبيراً ، كما أوحت بذلك كلمة

الختام لحميد الله ، وأنه ليس غير شيء قليل لا يعدو صفحات محدودة قد لا تجاوز الخمسين ، وأن هذه المقابلات التى أثبتها الأستاذ « حميد الله » لم تكن بعضاً وإنما كانت كلا .

بعد هذا أكاد أكون قد أنهيت كلمتى عما يثار عن « المعارف » وصلته بالكتابين اللذين لابن حبيب، وهما : المحبر والمنمق ، وقد قلت كلمتى فى تفصيل فى مقدمة الطبعة الأولى للمعارف عن الأول وهو «المحبر» وكان لا بد من أن أسوق كلمة مفصلة عن «المنمق» بعد أن وجدت الأسباب بين يدى ، وعذرى قبل عند طبعى كتاب «المعارف» طبعته الأولى أنى لم تقع لى نسخة من كتاب المنمق، وأن اعتمادى كان على كلمة الأستاذ «حميد الله» . وحين وقعت لى نسخة من كتاب «المنمق» كان لا بد من دراسة وافية له كالتى سبقت من كتاب « المحبر» لأنتهى منها إلى مثل الحكم الذى انتهيت إليه مع كتاب « المحبر» .

والآن لعلى أكون قد قضيت فى تلك القضية بما لا يدع مجالا بعد لشك يثار ورددت الأمر إلى حيث يجب أن يرد إليه ، وأن كتاب « المعارف » هو لابن قتيبة خالصاً لم يأخذ فيه عن « المحبر » كما لم يأخذ فيه عن «المنمق» ، ولن يضير ابن قتيبة أن يكون قد شارك من سبقوه أو عاصروه فى موضوعات بعينها فما أكثر ما نجد من مشاركة بين المؤلفين السابقين لا سيما حين يتناولون أغراضاً مشتركة كتلك التى كانوا كثيراً ما يتناولونها وكثيراً ما يتحدثون فيها حديثاً يكاد يكون واحداً ، لأنهم كانوا جميعاً شبه نقلة عن معين واحد ، ليس لهم إلا تلوين يختلف اختلافاً يسيراً ، وما عاب هذا جهودهم المشكورة ، ولا نقصهم حقهم فيها .

٦

وبعد :

فلقد كان المطبوع من هذا الكتاب فى طبعته الأولى ألفاً ، وكان هذا لظروف ترجع إلى القصد ، فكان شيوعه محدوداً ، وبقيت تلك الطبعة مقصورة على أعداد لا تعدوها ، لذا كنت حريصاً على أن أعيد طبعه ، وأن أضم إلى طبعته

الأولى طبعة ثانية ، وإذ لم يكن ثمة ما أضيفه على طبعتى الأولى من مزيد فقد جاءت هذه الطبعة الثانية صورة من الطبعة الأولى، لا تزيد عليها إلا هذه الكلمة التى جعلتها مقدمة للطبعة الثانية، والتى قصدت أن أشير فيها خاصة إلى «المنمق» لابن حبيب ، وما يساورنى فيه ، ثم بتصويب ما جاء فى الطبعة الأولى من أخطاء .

لهذا سوف يجد القارئ هذه الطبعة الثانية صورة من الطبعة الأولى ، تزيد عليها غير هذه تلك التصويبات لتطالعه خالية مما وقع فى الطبعة الأولى من أخطاء مطبعية .

وهأنذا أرجو بهذه الطبعة الثانية من كتاب المعارف أن أكون قد يسرت اقتناءه لمن فاتهم اقتناؤه فى طبعته الأولى ، لكى نجتمع جميعاً على الإفادة من كتاب هو من أجل ما عمرت به المكتبة العربية .

وإنى لسعيد هنا بهذا الجهد المتواضع سعادتى هناك بذلك الجهد الشاق، إذ كلاهما مبعثه الحرص على إحياء تراثنا والانتفاع به

دكتور
ثروت عكاشه

ذو القعدة سنة ١٣٨٨
فبراير سنة ١٩٦٩